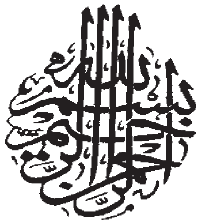






الدارة



مجلة فصلية مُحَكَّمة
تصدر عن دارة الملك عبد العزيز

صدر العدد الأول للسنة الأولى في شهر ربيع الأول ١٣٩٥هـ/ مارس ١٩٧٥م.

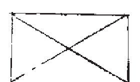
العدد الرابع ● السنة العشرون ● رجب، شعبان، رمضان ١٤١٥هـ



دارة الملك عبد العزيز :

أنشئت بمقتضى المرسوم الملكي الكريم رقم م/ ٤٥ في ٥/ ٨/ ١٣٩٢هـ كهيئة مستقلة ذات شخصية اعتبارية يديرها مجلس إدارة له كافة الصلاحيات اللازمة لتحقيق أهدافها

والغرض من إنشائها : خدمة تاريخ المملكة . وجغرافيتها . وآدابها . وآثارها الفكرية والعمرانية بخاصة . والجزيرة وبلاد العرب والإسلام بعامة . وذلك عن طريق إنجاز البحوث ونشرها وجلب الوثائق والمخطوطات وتحقيقها وإصدار مجلة تحمل اسمها كما أنها «المركز الوطني للوثائق والمخطوطات» بمقتضى الموافقة السامية رقم ٥/ ١٢٦٠٨ في ٢٠/ ٥/ ١٣٩٦هـ.



ص.ب ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١ ـ المملكة العربية السعودية
رقم الفاكسميلي : ٠٠/ ٩٦٦/ ١/ ٤٤١٧٠٢٠

دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة

إعداد : د. غيثان علي جريس

كـان المجتمع العربي قبل الإسـلام في شبـه الجزيرة العـربية يعـاني من الفرقـة والتمزق بسبب الصراعات القبلية، الأمـر الذي أدّى إلى انعدام الأمن في أوساطـه، فحلت الفوضـى محل النظام، والخوف محل الاطمئنان، وبقـي الأمر على هذا الحال حتى جاء الـرسول ـ عليه الصـلاة والسلام ـ وبدأ يـدعو الناس لعبادة الواحـد القهار، ونبذ الشرك والأوثان، وترك الـرّذائل والتحلي بالفضائل. كل هذا جعل أهل مكـة، وخاصة القـرشيين منهم، يحاربونه بكل مـا أوتوا من قوة، ولكن صبره ــ عليه الصـلاة والسلام ــ وقوة إيمانه جعـلاه يتغلب عليهم، وازداد دخول الناس في الدين الجديد عن قنـاعة وإيمان. ولما رأى ـ عليه الصلاة والسلام ـ استحالة استمرار الدعوة في مكة المكرمة هاجر إلى المدينة المنورة، وأقام فيها مسجده الشريف، ومنهـا أخذ يعد الغزوات والسرايا لتـوسيع رقعة دولته،

ونشر الإسلام، وعقد التحالف مع القبائل المجاورة ضد مشركي مكة ومن تبعهم. وتمكن الرسول ﷺ بعمله المتواصل من فتح مكة المكرمة في السنة الثامنة للهجرة، واتخذ من المدينة المنورة مقرا له، وأخذ الناس يدخلون في دين الله زرافات ووحدانا، وتتابعت الوفود على المدينة المنورة معلنة لرسول الله ﷺ إسلامها[١].

وبعد فإن البحث يقتصر على دراسة المنطقة الواقعة إلى الجنوب من مكة المكرمة والطائف، والممتدة إلى حواضر اليمن الكبرى مثل صنعاء وصعدة وغيرهما، وقد أطلقنا عليها اسم (تهامة والسراة)[٢]، ونظرًا لكثافتها السكانية فقد شاركت مشاركة فعالة في الأحداث الجسام التي حدثت للدولة الإسلامية منذ ظهور الدعوة إلى تكوين الدولة، إلى حروب الردة[٣]، إلى فتح العراق وفارس والشام. وقد حباها الله بتضاريس متنوعة، فهناك الجبال الشاهقة، والوهاد العميقة، والهضاب المتتابعة، والأمطار الموسمية التي تصب على المنطقة كأفواه القرب، فتسيل الأنهار، وربما أدى الأمر إلى فيضان خاصة في المناطق الجبلية العالية المتصلة بالوهاد المنخفضة، مما دعا سكان الجبال إلى حفر الآبار وبناء السدود، والاهتمام بالزراعة على مختلف أنواعها إلى جانب الرعي ليكون لديهم اكتفاء ذاتي في معاشهم لصعوبة مسالك جبالهم، مما أدى إلى صعوبة الاختلاط. من هنا كان حظها في الكتابات وخاصة التاريخية نادرا، رغم موقعها الجغرافي المهم حيث تقع بالقرب من مكة المكرمة والمدينة المنورة اللتين تعدان من أهم حواضر الحجاز، وتتصل بالحواضر الكبرى لليمن، هذا الموقع أكسبها أهمية تجارية ودينية، أما التجارية فتعود إلى قربها من البيت العتيق وما له من أهمية عبر العصور[٤]. لذا كانت مكة المكرمة مركز اهتمام سكان المنطقة يرصدون ما يدور فيها فتراهم أول من هب لنجدة الإسلام بوفودهم على الرسول

الكريم ﷺ معلنين إسلامهم وإسلام قبائلهم، وهم أول من شارك بأعداد غفيرة في حروب الردّة، وفي الفتوحات الإسلامية الكبرى. ورغم هذا لم ينالوا حظهم في التاريخ مثلما نال غيرهم من سكان المناطق الأخرى التي لم تزد مشاركتهم عنهم، ولعلّ هذا راجع إلى ما ذكر آنفا من صعوبة التضاريس، ووعورة المسالك، مما جعل الطارقين لها من أرباب الأقلام قليلين.

لذا رأينا من الواجب علينا أن نسهم بما استطعنا في إبراز شخصيتها التاريخية، وما قامت به من أدوار عبر الحوادث التي حدثت في الجزيرة وفاء منا لها بإعطائها حقها، وعدم غبنها خاصة من أبنائها الذين وجب عليهم أن يقوموا بدراسة المنطقة من جميع الجوانب السياسية والعسكرية والحضارية لزاما منهم في بيان دورها في المسار التاريخي للدولة الإسلامية. وما هذا البحث إلا لبنة بناء في الصرح التاريخي للمنطقة، راجين من الله السداد.

لهذا كان أهل تهامة والسراة من الأوائل الذين دخلوا في الإسلام، وحسن إسلامهم، وبعد عودتهم لأوطانهم أخذوا يمارسون الإسلام فيها، ويعملون للمحافظة عليه والولاء له تحت راية الرسول ﷺ في المدينة المنورة. وعندما حدثت الردة كان معظمهم قد بقي على إسلامه باستثناء أفراد من قبائل الأزد، ومذحج، وبارق، وخثعم، ودوس، وبجيلة، الذين ارتدوا عن الإسلام عند موت الرسول ـ عليه السلام ـ لكن معظمهم أعلنوا ولاءهم للخليفة أبي بكر الصديق، بل انضموا إلى الجيوش التي أرسلها لمحاربة المرتدين في بلاد تهامة والسراة، وفي حواضر اليمن الكبرى وما حولها(٥). وعندما انتهى أبو بكر من حروب الردة في الجزيرة بدأ على الفور يستنفر المسلمين ويعد العدة لتجهيز الجيوش لنشر الإسلام في المناطق المجاورة لها من بلاد الشام والعراق وفارس، حيث كانت الأولى تحت حكم الروم والأخرى تحت حكم الفرس.

لبى السرويون والتهاميون من ضمن من لبى من المسلمين للانخراط في جيوش الإسلام المجاهدة، ولكثرتهم كان عددهم بارزا في الحملات التي خرجت لمقاتلة الفرس والروم على حد سواء، وخاصة في أمهات المعارك: معركة القادسية، ومعركة اليرموك.

وسيدور البحث حول ثلاثة محاور: (أ) دورهم في الجبهة الشامية. (ب) دورهم في الجبهة الفارسية. (جـ) دورهم في التنظيم العسكري والقيادات العسكرية.

أ- دورهم في الجبهة الشامية:

بعد استقرار الأوضاع في الجزيرة العربية بانتهاء حرب الردة أصبحت البلاد جميعها تدين بالولاء والطاعة للخليفة أبي بكر الذي أعلن النفير العام للجهاد متبعا سياسة الرسول ﷺ الحربية في استشارة كبار الصحابة على ما عزم عليه من حرب للبلاد الشامية[٦]، ثم قال لهم: «.... اعلموا - يقصد الصحابة - أن رسول الله ﷺ كان عوّل أن يصرف همته إلى الشام فقبضه الله إليه، واختار له ما لديه، ألا وإني عازم أن أوجه أبطال المسلمين إلى الشام بأهلهم ومالهم فرسول الله ﷺ أنبأني بذلك قبل موته»[٧]. ونستشف من هذا القول أن الصديق كان حريصا على تنفيذ رغبة الرسول - عليه السلام -، وهو الذي كان يقتفي أثره، ويقتدي به وبعمله، ولهذا أفصح لصحابته عمّا يجول في خاطره، فقد وافقوه على ذلك من غير شك لأنهم كلهم - رضوان الله عليهم - كانوا بمثل حرص أبي بكر.

وعلى أثر ما قال الخليفة في تبيان ما هو عازم عليه أرسل جيشا تجاه الشام بقيادة خالد بن سعيد بن العاص، وأمره بالإقامة في تيماء[٨] حتى يأتيه أمره، ثم استنفر الناس يحثهم على الجهاد[٩]. ويشير البلاذري والواقدي إلى أن الخليفة انتدب أهل المدينة من الأنصار والمهاجرين لجهاد الروم، ولكن بعد أن أدرك

قلتهم وكثرة جحافل الروم قرر استنفار القبائل العربية، وبخاصة من كان يسكن في بلاد السراة وحواضر اليمن الكبرى[١٠]. ويعزز الأزدي قول البلاذري والواقدي في استنفار الخليفة أهل تهامة والسراة، وبلاد اليمن بشكل عام، حيث أرسل لهم كتابا مع أنس بن مالك قال فيه: «.. أما بعد، فإن الله كتب على المؤمنين الجهاد، وأمرهم أن ينفروا خفافا وثقالا، وقال: جاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله، فالجهاد فريضة مفروضة، وثوابه عند الله عظيم، وقد استنفرنا من قبلنا من المسلمين إلى جهاد الروم بالشام، وقد سارعوا إلى ذلك، وعسكروا وخرجوا، وحسنت في ذلك نيتهم، وعظمت في الخير حسبتهم، فسارعوا عباد الله إلى فريضة ربكم، وإلى إحدى الحسنيين: إما الشهادة، وإما الفتح والغنيمة، فإن الله لم يرض من عباده بالقول دون العمل، ولا يترك أهل عداوته حتى يدينوا بالحق، ويقروا بحكم الكتاب، أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون، حفظ الله لكم دينكم، وهدى قلوبكم، وزكى أعمالكم، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين، والسلام عليكم»[١١].

وكتاب الخليفة أبي بكر لم يكن مرسلا إلى قبيلة أو عشيرة بعينها، وإنما أرسله إلى كل القبائل والعشائر التي تقطن البلاد الواقعة إلى جنوب مكة المكرمة والطائف والممتدة إلى مدن اليمن الكبرى كصنعاء وصعدة وغيرهما، وقد أكد ذلك رسول الخليفة ـ أنس بن مالك ـ حيث وصف لنا رحلته إلى تلك البلاد فقال: «لقد أتيت أهلها جناحا جناحا، وقبيلة قبيلة أقرأ عليهم كتاب أبي بكر، وإذا فرغت من قراءته قلت: الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله». ثم يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد: فإني رسول خليفة رسول الله ﷺ ورسول المسلمين إليكم، ألا وإني قد تركتهم معسكرين، ليس يمنعهم من الشخوص إلى عدوهم إلا انتظاركم، فعجلوا إلى إخوانكم،

رحمة الله عليكم أيها المسلمون»[١٢]. فلم يكن رد السامعين لما قرأه وقاله إلا أن قالوا: «نحن سائرون»[١٣].

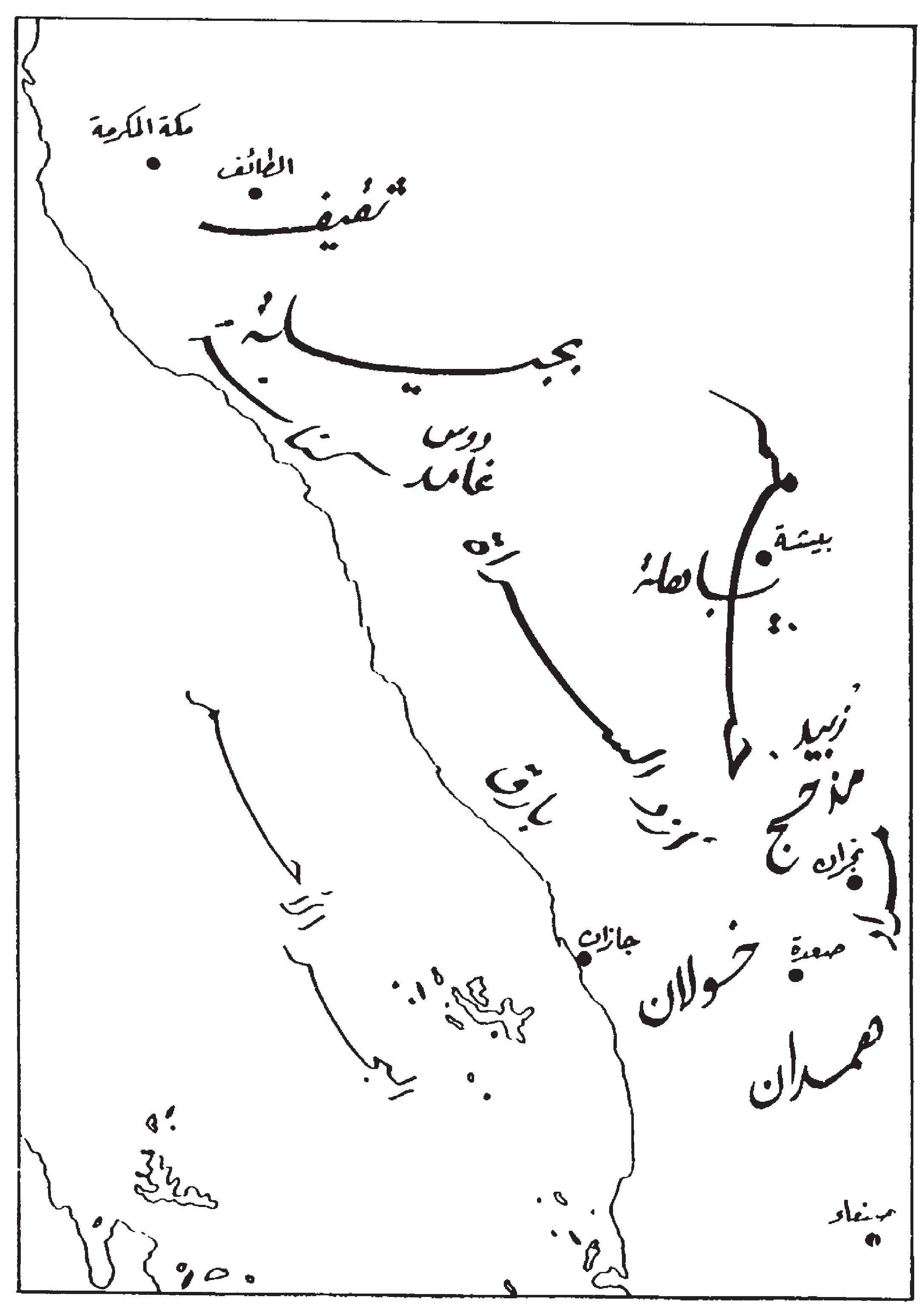
وبدأت بعض القبائل والعشائر السروية تغادر بلادها في شبه مواكب عسكرية، مرتبة على شكل كتائب، الكتيبة تلو الأخرى، وليس ببعيد أن لكل كتيبة رايتها ترمز بها إلى قبيلتها، قدمت وهي تحملها على الخليفة الصديق في المدينة المنورة، وما إن سمع سكان المدينة بقدومهم حتى خرجوا بزينتهم احتفاء بهم وتكريما لقدومهم، ويبدو أن لهم مكانة خاصة في نفوس أهل المدينة أو علاقة مميزة، لأن الاستقبال بمثل هذا الحال لا يكون إلا لمن له مكان عند أهل المدينة، وكان من بين تلك العشائر والقبائل القادمة قبائلُ حمير التي كان على رأسها ويتقدم مواكبها ذو الكلاع الحميري، ثم تلتها كتائب من عشائر مذحج تحت زعامة قيس بن هبيرة بن مكشوح المرادي، ثم تلتها كتائب من أزد السراة[١٤]، ولعلّ هذا التمييز ناتج من شهرة رؤسائهم ومعرفة الناس لهم، أو من رايات خاصة بكل قبيلة أو من الاثنين معا.

وبعد استكمال وفود المجاهدين إلى المدينة عين الخليفة عليهم عددا من القادة أمثال يزيد بن أبي سفيان، وأبي عبيدة بن الجراح، وشرحبيل بن حسنة، وعمرو ابن العاص، وهذه الجيوش الأربعة توجهت إلى بلاد الشام، ووقعت عدة معارك بينها وبين الروم أسفرت عن عدم قدرتها وحدها في مواجهة الروم، ممّا دعا الخليفة إلى أن يطلب من القائد خالد بن الوليد أن يتوجه من عين التمر في العراق إلى الشام لمساعدة إخوانه هناك، وتمّ له ما أراد[١٥]. ويبدو أنّ السرويين كانوا كثيري العدد في معركة اليرموك أو غيرها من المعارك الشامية، وفي هذا الصدد يذكر الأزدي أنّ الخثعميين توجهوا إلى بلاد الشام وعلى رأسهم عبد الله ابن ذي السهم الخثعمي، وكان عددهم نحو ألف مجاهد[١٦]، وهم رديف

لجيش يزيد بن أبي سفيان الذاهب إلى دمشق والذي توفي فيها، وتولى القيادة من بعده أخوه معاوية بن أبي سفيان لأنـه كان مساعدًا له في حملته. كما زود الخليفة جيش المسلمين بعدد من المجاهدين الأبطال من قبائل همدان ومراد وأزد شنوءة، ومعهم عدد من قبـائل أخرى لا تقطن السراة، وبلغ عددهم جميعـا ما بين ألف إلى ثلاثة آلاف مجاهد تحت قيادة هـاشم بن عتبة بن أبي وقاص انضووا تحت لواء أبي عبيـدة بن الجراح الذي تـوجـه بجيشه صـوب حمص[١٧]. ويبدو أن هـذه الجحافل كانت تتوافـد تباعا قبل وقوع المعركة الكبرى معـركة اليرموك، وإذا كان الأمر كـذلك، فمعنى هذا أنها وصلت قبل أن يتـوجه خالـد إلى الجبهة الشـامية قادما من العراق.

ومهما يكن من أمـر فإن الـواقدي يـذكر عـددا من جموع السراة من مـذحج، والأزد، والنخع ومن أهل مكة المكـرمة بما يسـاوي تسعة آلاف رجل[١٨]، وكان من بينهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي، وكلنا نعرف ما لهذه الشخصية من أثر في المعارك، لأنها شخصية حـربية بارعة في تخطيطها وأسلـوب قتالها وصبرها على القتال[١٩]. ويبدو أن وصول هـذا المدد الذي كان فيه الـزبيدي كان في النصف الأخير للمعركة[٢٠]. وبصدد الإمدادات يشير الأزدي إلى أن عـددهم بلغ ما بين الألف والألفين[٢١].

والقضية هنـا ليست في العدد أو الإمدادات، وإنما بتفـرد قادة من السراة على الخصوص بقيـادة أهم قسم من أقسام الجيش، فها هـو قيس بن هبيرة كان على رأس فرقة الخيالـة في معركة اليرموك يتلقى أوامره من القائد العام للمعـركة خالد ابن الوليد، وعمرو بن الطفيل بن عمر ذي النـور الدوسي كان على فرقة أخرى، وجنـدب بن عمرو بن حممـة الدوسي على فـرقة ثـالثة معظم فـرسانها من قبـائل السراة[٢٢].



أهم القبائل العربية
ببلاد تهامة والسراة في صدر الإسلام

وإن دلّ هـذا على شيء فإنما يدل على إتقـانهم فن الفروسيـة هم وذووهم من أهل السراة، وعلى معرفتهم بـالخيول والعمل على تـربيتها وإتقـان ركوبها، ومن المعلـوم أن فـرق الخيالـة كـانت من أهم الفـرق في الجيش، لأنها تعـد السـلاح الحاسم في المعركـة إذا ما استقامت لها الأمور؛ لأن سهـولة حركتها وكثـرة غاراتها على الأعداء تعمل على تبديد قواهم، وبالتالي تسهم إسهاماً كبيراً في إنهاء المعركة لصالحها.

ويروي ابن أعثم أنّ عددا من السرويين كـان في القلب والميمنة، وقسم منهم مع الرماة، وغالبيتهم كانوا فرسانا(٢٣). وفي ظني أن وجودهـم في القلب ـ على الخصوص ـ يـدل على شجاعتهم، وحسن إتقانهم لفنون القتـال، لأنه جرى في الترتيب للقتال أن يختار جماعة من الشجعان الكماة الذين يمتازون بحسن القتال والصبر عليه لأن يكـونوا في القلب لما لـه من أهمية في الميـدان حيث يوجـد فيه القائد العـام للمعركة الذي ينظم الصفـوف، ويستبدل الخطط ليضمن النصر، فلا بدّ من حمايتـه. من هنا كان اختيارهم اختيـارا مقصودًا، ومهما يكن من أمر فإنه يوجد أكثر من دلالة تدل على حسن قيادتهم وإتقانهم لفنون القتال، فتراهم في الميسرة، وفي الميمنة، وفي القلب، ومع الرماة.

كما نرى تعيين قادة منهم أكثر من مرة، وفي أكثر من معركة، فها هو قيس بن هبيرة المرادي يعين على جنـد الميسرة وكـان من بينهم عشـائر مـن خـولان، ومذحج، وخثعم، والأزد، وهمدان(٢٤). ورواية أخرى تشير إلى تعيينه على جند الميمنة في اليرمـوك، وكـان منهم عشائـر زُبيـد، ومعهـم زعيمهـم عمـرو بن معد يكرب الزبيدي(٢٥)، ويبدو أن عـدم تعيين عمرو قائدا لميمنـة الجيش يعود إلى نسيان نفسه إذا ما حمي الوطيس، وهـذا النسيان قد يؤدي بالجند إلى الهلاك، لأنّ قعقعة السيوف تثير الحميـة في نفسه، لكنه مخطط بارع مـن الدرجة الأولى،

وهذا ما دفع الخليفة عمر أن يطلب من قائد معركة القادسية سعد بن أبي وقاص أن يستشيره في تخطيط المعارك دون تعيينه قائدا عاما للسبب المذكور آنفا[٢٦].

ويبدو أن السرويين خاصة والمسلمين عامة أبلوا بلاء حسنا في حربهم ضد الروم، وثبتوا لهم ثبوت الرواسي، وقد برز في هذه المعارك قيس بن هبيرة المرادي، وعمرو بن الطفيل الدوسي، وجندب بن عمرو بن حممة الدوسي، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي الذي روي عنه أنه كان يستثير همم المجاهدين، وبخاصة الزبيديون من قومه، والخثعميون والدوسيون وغيرهم، فيحثهم على الإقدام على محاربة الروم، ويحذرهم من الفرار والجبن من الأعداء، فيقول لهم: « . . . **أتفرون من الأعداء؟، أترمون أنفسكم بالعار والذلة والشنار؟ . . . أما علمتم أن الله يطلع على المجاهدين الصابرين، فإذا نظر إليهم قد لزموا الصبر في مرضاته، وثبتوا لقضائه أمدهم بنصره وأيدهم به**»[٢٧]. وعندما سمع المجاهدون قوله التفوا حوله، وانضم إلى جانبه قبائل أخرى من الأزد، وحمير، وخولان وغيرها، وأبلوا بلاء حسنا في حربهم مع الروم، وثبتوا لهم في الميدان، حتى قيل إنه استشهد من هذه القبائل أكثر مما استشهد من القبائل الأخرى.

وبصدد مساهمة بعض قبائل أهل تهامة والسراة في معركة اليرموك يقول الأزدي: « . . . **وفيها الأزد وهم ثلث الناس، وفيها حمير وهم أعظم الناس، وفيها همدان، وخولان، ومذحج، وخثعم** . . . »[٢٨].

وبعد، فإن الإشارات السابقة تعكس مدى مشاركة أهل تهامة والسراة، لكن ـ مع الأسف ـ لم تذكر مجموع المشاركين، ولم تذكر عدد الأفراد المشاركين في كل الإمدادات التي أرسلت إلى جبهات القتال في بلاد الشام خاصة في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب حيث كانوا يخرجون من ديارهم يفدون على الخليفة عمر طالبين اللحاق بإخوانهم المجاهدين، فيجهزهم الخليفة بما يحتاجون من

الإمدادات العسكرية وينطلقون نحو الشام بعد تعيين قادة عليهم، واستمر هذا المدد يأتي من تهامة والسراة مارا بالمدينة المنورة متجها نحو الشام لتأدية فريضة الجهاد إلى أن دخلت الشام في الإسلام.

ب ـ دورهم في الجبهة الفارسية:

وبعد الانتهاء من حروب الردة طلب الخليفة أبو بكر من خالد بن الوليد أن يذهب بمن معه من الجند إلى المثنى بن حارثة الشيباني الذي كان يقاتل الجيوش الفارسية في جنوب العراق، وجاءت هذه النجدة بناء على طلب المثنى، وبعد وصول خالد واشتراكه مع المثنى في جبهة قتال واحدة وصلت إلى الخليفة أبي بكر أنباء من بلاد الشام تطلب النجدة بسبب ما أحاط بالمسلمين من أهوال ومصاعب، فما كان من الخليفة أبي بكر إلاّ أن طلب من خالد بن الوليد أن يترك المثنى ويتوجه إلى بلاد الشام لشد أزر الجيوش الإسلامية هناك.

بقي المثنى بن حارثة وحده في الميدان، وأدرك أنه في حاجة إلى مدد عسكري يعوض به جيش خالد، فأرسل إلى الخليفة أبي بكر يطلب منه العون، فأرسل له الخليفة عددا من المجاهدين بقيادة أبي عبيدة بن مسعود الثقفي الذي قتل في معركة الجسر في شهر شعبان من العام الثالث عشر للهجرة، وكان من نتائج المعركة اندحار المسلمين أمام قوات الفرس[٢٩]. وفي هذه الفترة الزمنية حدثت حوادث جسام للمسلمين منها السيئ ومنها الحسن، ففيها انتقل إلى الرفيق الأعلى الخليفة الراشد أبو بكر الصديق، وتسلم الخليفة عمر بن الخطاب زمام الأمور من بعده، وفيها اندحرت القوات الإسلامية أمام جيوش الفرس، ولكنها انتصرت على قوات الروم في معركة اليرموك، وأخذت تطارد فلولهم، الأمر الذي طمأن الخليفة عمر على حال المسلمين في الجبهة الشامية، وتفرغ للجبهة

الفارسية، فأعلن النفير، وأخذ يستحث الناس على الجهاد فلبى الدعوة عدد كبير من أبناء الجزيرة، وخاصة أبناء تهامة والسراة، وأبناء الحواضر في اليمن، وكان في مقدمة الإمدادات العسكرية القادمة من السراة البجليون وعلى رأسهم زعيمهم جرير بن عبد الله البجلي الذي استقبله الخليفة عمر عند وصوله إلى المدينة المنورة. واختلفت الروايات فيما دار بين الاثنين، وقد رأينا إيرادها لإطلاع القارئ عليها قصد التعرف على مضامينها وأولويات هذه المضامين، وأخذ ما هو الأرجح من هذه الروايات بعد قياسها بواقعها. والرواية الأولى تورد ما دار بين القائد البجلي وبين الخليفة عمر، حيث قال الخليفة: «ويحك يا جرير! إنا قد أصبنا بالمسلمين مصيبة عظيمة ـ يقصد معركة الجسر ـ والمثنى بن حارثة في وجه العدو. فسر نحو العراق فعسى الله عز وجل أن يدفع شر هؤلاء الأعاجم، وتخمد بك جمرتهم..»(٣٠).

أما الرواية الثانية، فتذكر أن جريرا أراد أن يجمع شتات قومه الموزعين بين القبائل ليجعلهم في جمع واحد(٣١)، فطلب من الخليفة أبي بكر ما أراد، لكن الخليفة كان مشغولاً بحرب الردة، وبإرسال الجيوش إلى الجبهتين الشامية والفارسية، فلم يلب طلبه، وأفصح عن ذلك بقوله: «**ترى شغلنا وما نحن فيه بغوث المسلمين ممن بإزايهم الأسدين فارس والروم، ثم أنت تكلفني التشاغل بما لا يغني عما هو أرضى لله ولرسوله، دعني وسر نحو خالد بن الوليد حتى أنظر ما يحكم الله في هذين الوجهين**»(٣٢). نستشف من هذا القول أنّ لأبي بكر الصديق أولويات في الأمور، فهو الآن في أمر أهم مما طلبه جرير البجلي، لكن جريرا ربما كان يرى رؤية أخرى، وهي أن يكون على رأس قومه في القتال، وهذا مما يؤدي إلى زيادة الالتحام بينه وبينهم إلى جانب معرفتهم بأساليب قتاله، وأن أية سلبية من سلبيات القتال تنعكس بوضوح عليه وعلى قومه، ولكن طلبه ربما جاء في

ظروف صعبة للغاية، الأمر الـذي تعذر على أبي بكر تحقيقه. وهناك تضارب في الأقـوال، بعض يقـول إن جريـر بن عبـد الله البجلي سـار على رأس جيش من عشائر وقبائل مختلفة إلى أن وصل معسكر خالـد قبل ذهابه إلى بلاد الشام(٣٣)، وبعض آخر يقـول وصل في الجيش بعد ذهاب خـالد بن الوليـد إلى الشام، بل يذكـر أن وصوله إلى بلاد الفـرس كان في أيام الخليفة عمـر بن الخطاب، ثم إن الطلب الذي طلبه جرير من أبي بكـر لم يحدث بل حدث في عهد الخليفة عمر، وأن الخليفـة عمـر قـد لبى الطلب لما رأى فيـه من فـائدة تبرز تـلاحم البجليين ومهارتهم في القتـال، فأمر الخليفة بإخـراج عشائر بجيلة من القبـائل الأخرى، فجاءته قيس كبّة، وسحمة، وعرينـة وهؤلاء رهط جرير بن عبد الله البجلي من قبائل عـامر بن صعصـة، وعدد آخر من أفخـاذ بجيلة كانـوا في عشائر عـربية أخرى(٣٤)، فلما اكتملت عدتهم سيّـرهم الخليفة عمر بقيادة جـرير إلى العراق سنـة ١٣هـ في الفترة مـا بين قيـام المعركتين البـويب والقـادسية، وكـان معهم نسـاؤهم وأطفالهم، فقـد بلغ عـدد النساء ألف امـرأة(٣٥)، ولا نـدري لم هـذا الرحيل الجماعي إلى الجبهة الشرقية ـ جبهـة الفرس ـ إلاّ إذا كان القصد من ذلك الاستقرار هناك لمتابعة المعارك المتتالية بوجودهـم الدائم ومعهم نساؤهم وذراريهم قصد اطمئنانهم واستقرارهم.

ويبدو من بعـض الروايات التـاريخية أن رغبـة قبائل بجيلـة كانت الـذهاب والبقـاء في بلاد الشـام، لكن الخليفـة عمر لم يحقـق رغبتهم مبينا لشيـوخهم أن الشام أصبحت في مـأمن من الروم، وأن عليهم التـوجه إلى بلاد فـارس، حيث إنها مازالت محفوفة بالمخاطـر، وعرض عليهم أن يأخذوا ربع ما يغلبون عليه من الأراضي(٣٦)، وفي رواية للبـلاذري أن الخليفة عمـر قال لـزعيم بجيلة جـرير بن عبد الله: «**هل لك في العـراق وأنفلك الثلث بعـد الخمس...؟**»(٣٧)، ويذكر

الطبري أن الخليفـة نفلهم ربع خمس ما أفـاء الله عليهم في غـزواتهم فذهبـوا إلى العراق، واستقروا فيه(٣٨).

ويبدو أنـه قبل ذهاب البجليين للعراق، التقى رؤساء عشـائرهم مع الخليفة عمـر يتقـدمهم زعيمهم جـريـر بن عبـد الله البجلي، وعـرفجـة بن هـرثمـة البارقي(٣٩). وعند استقبال الخليفة لهم ولى عليهـم عرفجة وقال لهم: «**اسمعوا لهذا**»، فلم يكن البجليون يـرضون بولايـة عرفجـة، وقالوا للخليفـة: «اعفنا من عرفجـة»، فقال: «لا أعفيكم مـن أقدمكم هجـرة وإسلاما، وأعظمكـم بلاء وإحسانـا»، قالوا: «استعمل علينـا رجلا منـا ولا تستعمل علينا نزيعـا فينا»، فظن عمر أنهم ينفونـه من نسبه، فقال: «انظروا مـا تقولون»، قالـوا: «نقول ما تسمع»، فأرسل إلى عرفجة فقال: «إنّ هـؤلاء استعفوني منك وزعموا أنك لست منهم، فما عندك؟»، قال: «صدقـوا أنا امرؤ من الأزد، ثم من بارق، في كهف لا يحصى عـدده»، فقـال عمـر: «نعم الحي الأزد يأخـذون نصيبهم من الخير والشر»، قـال عرفجـة: «إنـه كان من شأني أن الشر تفـاقم فينـا ودارنا واحـدة، فأصبنـا الـدماء ووتـر بعضنـا بعضـا، فاعتـزلتهم لما خفهتم، فكنت في هـؤلاء أسودهم وأقودهم، فحفظوا على الأمر، ثم دار بيني وبين دهاقينهم بعض الفتن فحسدوني وكفروني»، قـال: «لا يضرك فاعتزلهم إذ كرهـوك». واستعمل جريرا مكانه(٤٠).

ويبـدو من هذا الحوار المسـوغات التي أبـداها عـرفجة في رفضهم إيـاه، كما نلمس مفهوم العصبيـة عندهم، ومدى تأثيرهـا في قراراتهم، وهذا مـا أحس به الخليفة عمر، مما دفعه إلى قبول مطالبهم، وهي استبعاد عرفجة وتعيين جرير بن عبد الله البجلي بدلا منه، والدليل على صحة مـا نقول أن عرفجة قدم مرة أخرى على الخليفة عمر ومعه سبعمائة غـازٍ من الأزديين، وعدد من بارق وألمع، فطلبوا

من الخليفة الذهاب إلى الشام، فقال الخليفة: «**ذلك قد كفيتموه، العراق العراق! ذوو بلدة قد قلّل الله شوكتها وعددها، واستقبلوا جهاد قوم قد حووا فنون العيش، لعل الله أن يورثكم بقسطكم من ذلك، فتعيشوا مع من عاش من الناس**»(٤١). عندئذ قام عرفجة خطيبا في قومه من الأزد، وقال: «**يا عشيرتاه! أجيبوا أمير المؤمنين إلى ما يرى، وامضوا له ما يسكنكم**»، قالوا: «**إنا قد أطعناك، وأجبنا أمير المؤمنين إلى ما رأى وأراد**»(٤٢). فدعا لهم الخليفة عمر، ثم أمّر عليهم عرفجة بن هرثمة البارقي، وأرسلهم مددا إلى المثنى بن حارثة الشيباني، وهذه الرواية الأخيرة ربما هي أقرب إلى الصحة من التي قبلها. لكن الغريب في ذلك ألا نجد ذكرا ملموسا لمساهمة عرفجة ومن كان معه في الحروب التي خاضها المثنى ضد الفرس، في حين نجد المصادر تورد اسم عشائر بجيلة وزعيمهم جرير بن عبدالله، فتشير إلى خروجهم من المدينة المنورة نحو بلاد فارس، فالتقوا بالمثنى واندمجوا مع جيشه، وتصدوا لمهران ـ أحد ملوك الفرس ـ في معركة البويب، فتم لهم النصر بقتل مهران، وكان ذلك في شهر رمضان سنة ١٣هـ(٤٣).

وقد تناقضت الأخبار عند أصحاب الروايات والسير حول من كان القائد في المعركة، فبعضهم يرى المثنى، وبعضهم يرى جريرا، وبعضهم يرى أن كلا منهما كان قائدا على قومه. ولكن على ما يبدو من كثرة ذكر المثنى أنه هو الذي كان القائد العام للمعركة، لأن هناك رواية تشير إلى أنه عندما تمّ قتل مهران ادَّعى كل من جرير والمنذر قتله، وتنازعا فيما بينهما، فذهبا إلى المثنى ليتقاضيا عنده، فحل المعضلة بأن أعطى سلاح مهران لجرير، وأعطى المنذر منطقته، كما قام بتوزيع غنائم معركة البويب، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أنه القائد العام للمعركة(٤٤).

وأبلى جرير البجلي وقومه بلاء حسنا في المعركة، ومما روي عنه أنه كان يحثهم على الإقدام والمثابرة على القتال، ومما قاله لهم: «... يا معشر بجيلة، إنكم وجميع من شهد هذا اليوم في السابقة والفضيلة والبلاء سواء، وليس لأحد منهم في هذا الخمس غدا من النفل مثل الذي لكم منه، ولكم ربع خمسه نفلا من أمير المؤمنين، فلا يكون أحد أسرع إلى هذا العدد، ولا أشد عليه منكم للذي لكم، فإنما تنتظرون إحدى الحسنيين: الشهادة والجنة أو الغنيمة والجنة»(٤٥).

وبعد معركة البويب عين الفرس يزدجرد ملكا عليهم، وأعدوا العدة لملاقاة المسلمين، ولما علم الخليفة عمر صمم أن يتولى قيادة الجيش، لكن أعيان الصحابة أمثال عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم رفضوا رأيه، وطالبوه بتعيين شخص مناسب لذلك وهو سعد بن أبي وقاص لأنه إذا مات في المعركة يختلف المسلمون فيما بينهم في تولية خليفة بدله، ولكن قائد جيش آخر، من الممكن استبداله عند العزل أو الموت، إلى جانب أن المسلمين بحاجة إلى الخليفة عمر لينظم أمورهم ويقيم الحدود. وتم ما أرادوا وعُين سعد على رأس الحملة، وكان دور أهل تهامة والسراة مميزا، فقد شارك فيها عدد من عشائر بارق، وألمع والحجر، وغامد التي بلغ عدد أفرادها سبعمائة جاءوا إلى الخليفة عمر وعلى مقدمتهم حميضة بن النعمان بن حميضة البارقي(٤٦).

وفي رواية أخرى قدم من قبائل مذحج ألف وثلاثمائة يتقدمهم ثلاثة رؤساء منهم: أبو سبرة بن ذؤيب، وعلي بن منبه، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي(٤٧)، ولا ندري مدى صدق القول بأن عمرو بن معد يكرب الزبيدي كان أحد زعماء قبائل مذحج الوافدة على المدينة قبل معركة القادسية، لأن بعض الروايات تشير إلى وجوده مع الجيش الإسلامي في جبهات الفتوح ببلاد الشام، ثم نجد الخبر عنه الآن يقدم مع بعض قومه من بلاد السراة للانضمام إلى صف

سعد بن أبي وقاص، وقد يكون هناك احتمالان: الأول: أنه ذهب إلى بلاد الشام وبعد معركة اليرموك عاد إلى بلاده بأرض السراة ثم خرج مرة ثانية إلى المدينة للمشاركة في حروب المسلمين مع الفرس، ويكون خروجه في المرة الثانية مثل خروج غيره من زعماء تهامة السراة أمثال حميضة بن النعمان البارقي وغيره، والاحتمال الثاني أنه ربما رجع من بلاد الشام واشترك مع بني قومه عندما وصلوا المدينة وانضموا إلى جيش سعد الذي يقال إنه كان نحو أربعة آلاف، ثلاثة آلاف منهم من بلاد تهامة والسراة والألف الرابع من سائر الناس(٤٨).

وخرج سعد بن أبي وقاص من المدينة المنورة في شهر المحرم سنة أربع عشرة من الهجرة، ومعه الأربعة آلاف مقاتل متجها إلى بلاد فارس، وبعد أن أصبح على مقربة من الجيش الإسلامي أتاه نعي المثنى بن حارثة الشيباني، وينضم إليه جرير بن عبد الله البجلي بمن كان معه من قومه، بل يجمع الجيش كله تحت قيادته، وعندئذ أرسل الطلائع لاكتشاف قوة الفرس فوجد قوتهم كبيرة، وأعدادهم كثيرة، فأرسل إلى الخليفة في المدينة يطلب منه المدد فأمده بأربعة آلاف مقاتل، كان من بينهم ألفان من بلاد تهامة والسراة، والألفان الآخران من قبائل غطفان وقيس النجدية(٤٩). وتشير بعض الروايات إلى مجموع الجيش الذي كان يحارب مع المثنى بن حارثة وجرير بن عبد الله قبل قدوم سعد بن أبي وقاص فكان نحو ثمانية آلاف، كان من بينهم ألفان من قبائل بجيلة(٥٠)، وهذا العدد فيما يخص بجيلة يختلف مع مجموع المجاهدين الذين خرجوا مع جرير عندما أرسل مددا للمثنى حيث لم يكونوا أكثر من سبعمائة مجاهد، ووصولهم إلى الألفين ربما لأن بعضا منهم خرج في الفترة الواقعة بين خروج جرير قبل معركة البويب وبين وقوع معركة القادسية.

وإن حاولنا معرفة نسبة أهل تهامة والسراة من الجيش الكلي الذي جمع تحت

قيادة سعد بن أبي وقاص قبل معركة القادسية، فلن نصل إلى معرفة دقيقة لهم، لأن المصادر لا توفر لنا ما نريد، وأكثر المعلومات التي نجدها هو ما أشير إليه سابقا وبخاصة عن قبيلة بجيلة، فقد أشارت بعض الروايات إلى عددهم في الجيش الكلي، ولكن أيضا يسود هذه الروايات بعض الاختلافات؛ فبعضها أشارت إلى أن عددهم قبل قدوم سعد بن أبي وقاص كان ألفين، ورواية أخرى تذكر أن هذا العدد بعد جمع الجيوش تحت زعامة سعد[٥١]، وفي رواية لإسماعيل ابن أبي خالد مولى بجيلة عن قيس بن أبي حازم البجلي أن عدد من شهد القادسية كان بين ستة إلى سبعة آلاف مجاهد، وبجيلة كانت ربع الناس[٥٢]، ويورد ابن أعثم رواية فيذكر أنه اجتمع تحت قيادة سعد بن أبي وقاص نحو أربعين ألف مقاتل، ثم جاءه المدد من بلاد الشام في حوالي عشرين ألفا آخرين، فصار المجموع الكلي نحو ستين ألفا[٥٣]، ويورد الطبري رواية أخرى تخالف رواية ابن أعثم فيذكر أن عدد الجيش الإسلامي قبل وقوع القادسية كان يزيد على الثلاثين ألف مقاتل، ولكنه لم يشر إلى المدد الذي جاء من بلاد الشام[٥٤]. وروايتا الطبري وابن أعثم ربما تكونان أقرب إلى الصحة من التي قبلهما، لأن الجيوش التي كانت مع المثنى بن حارثة الشيباني، ثم الإمدادات التي تلاحقت حتى خرج سعد بن أبي وقاص قد تصل إلى أعداد كبيرة تفوق ما ذكر في رواية إسماعيل بن أبي خالد الآنفة الذكر، وكون المجموع الكلي للجيش الإسلامي المشارك في معركة القادسية غير معروف تمام المعرفة، ثم إن المصادر لم تفصل، بل لم توضح نسبة مساهمة أهل تهامة والسراة من المجموع العام، لكن مما لاحظنا في سياق الأخبار السابقة أنهم كانوا من العناصر الأساسية في جيش الخلافة في ميادين الجبهة الفارسية.

وعندما اكتمل جيش سعد بن أبي وقاص، وصار على أهبة الاستعداد

لمواجهة الفرس في معركة القادسية طلب الأمير سعد بن أبي وقاص المدد من الخليفة فأرسل الخليفة عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح في بلاد الشام وأمره بإمداد سعد ببعض من الجيش الذين كانوا معه، فذكر الطبري أنه أمده بخمسة آلاف من قبائل ربيعة ومضر الشامية، وألف من قبائل تهامة والسراة اليمانية(٥٥)، ويروي البلاذري أن عدد المقاتلين من أزد السراة في ذلك الجمع الذي أرسله أبو عبيدة من الشام كان سبعمائة مجاهد، وكانوا تحت زعامة قيس بن هبيرة بن عبد يغوث المرادي(٥٦)، وهذا الرقم الذي أشار إليه كل من الطبري والبلاذري يختلف عن الرقم الذي أشار إليه ابن أعثم وهو عشرون ألف مقاتل، ولا ندري هل المدد الذي جاء من بلاد الشام إلى سعد بن أبي وقاص كان على فترتين أو هو على فترة واحدة فقط فلا بد أن إحدى الروايتين غير صحيحة، وربما رواية الطبري والبلاذري أقرب إلى الصحة، لأنه من متابعة سير الإمدادات التي كان يرسلها الخلفاء في الفترة الأولى من الفتوح الإسلامية يتضح أنها كانت لا تزيد على الخمسة أو الستة آلاف رجل، ثم إن إرسال عشرين ألف مقاتل من بلاد الشام ـ كما قال ابن أعثم ـ قد يخل بتوازن الجيش الإسلامي في بلاد الشام، خصوصا أن الفتح لم يتوقف في بلاد الشام، ولكنه امتد إلى مصر وبلاد المغرب مباشرة بعد وقعة اليرموك وسقوط بلاد الشام، وبالتالي فالجيش الإسلامي في تلك الأجزاء الجديدة من العالم يحتاج إلى إمدادات من الخليفة في المدينة المنورة، ومثل تلك الإمدادات لن تتم إلا عن طريق الجيوش الإسلامية الموجودة في بلاد الشام.

وتستعرض مصادر التاريخ الأحداث التي حصلت بين الفرس والمسلمين في معركة القادسية، وتطيل الشرح في الوقائع والاصطدامات التي حدثت بين الطرفين، وبخاصة في الأيام الثلاثة المشهورة بيوم أرماث، ويوم أغواث، ويوم

أعماس، ثم الليلة الأخيرة في تلك المعركة التي أطلق عليها ليلة الهرير[٥٧]، وكذلك الجهود التي بذلتها الجيوش الإسلامية في مصارعة الفرس، وبخاصة البجليون الذين أبلوا بلاء حسنا، رغم عدم التكافؤ في العدد والعدة، فكان لدى الفرس ستة عشر فيلا يقاتلون البجليين بها، إلى جانب استخدامهم حسكَ الحديد الذي هو عبارة عن ثلاثة مسامير حادة تتصل بالقاعدة التي تغرس في الأرض فيضرب حافر الفرس، أو قدم الماشي فيعطله عن السير. رغم هذا فقد استطاعت الخيول البجلية تخطي هذا الحسك الشبيه اليوم بـ (الألغام المتفجرة). ونجح البجليون ومن معهم من المسلمين في صد القوات الفارسية، حتى جاءتهم إمدادات عسكرية أخرى من غامد، وربيعة، والأسد، وغيرها، وبعون الله تمكنوا من رد الفرس، وإجبارهم على التراجع[٥٨]، وفي صمود البجليين قال سعد بن أبي وقاص عنهم:

وما أرجو بجيلة غير أني
أؤمِّلُ أَجرَهم يوم الحسابِ
فقد لقيتْ خُيولهم خيولاً
وقد وقع الفوارسُ في ضرابِ
وقد دلفت بعرصتهم فيولٌ
كأن زهاءَها إبلٌ جرابُ[٥٩]

وهزم الفرس في القادسية، وقتل قائدهم رستم، ثم تقهقروا إلى الوراء، ودخل المسلمون إلى المدائن عاصمتهم، لكنه لم يكن إلا وقت وجيز حتى جمعوا فلولهم في جلولاء، فبلغ عددهم حوالي ثمانين ألفا، ولما علم قائد المسلمين سعد ابن أبي وقاص بتجمعهم استشار ذوي الرأي، وكان عمرو بن معد يكرب الزبيدي أحد مستشاريه، وقد قال لسعد: «**أيها الأمير! لا نحب أن تتقي علينا**

فإن الذي نصرنا عليهم بـالأمس، هو الذي ينصرنا عليهم اليـوم. . . وقد علمنا أن الله عـز وجل إذا كتب على قـوم القتل فـلا بد لهم ممـا كتب لهم، . . . فلسنـا نشك أن القتل في سبيل الله أفضل من الموت على وثير الفـرش، فطوبى لمن قتل في سبيل الله صابرا يريد بذلك ما عند الله من الثواب الجزيل. . . »[٦٠].

اقتنع سعد بكلام عمرو وكلام غيره من ذوي الرأي، وأوكل القيادة لابن أخيه هاشم بن عتبـة بن أبي وقاص، وانضم إلى هاشم جرير بـن عبد الله وصحبه من المجـاهدين البجليين، ودوس، وخثعم، وعشـائر وأفخـاذ من القبائل اليمانيـة والمضرية، يعـاونه قيس بن مكشـوح المرادي، وعمرو بن معـد يكرب وغيرهما، والتقى الجمعان ودارت رحى الحرب وأظهر المسلمـون بسالة وصبرا، والكل يثير همم قـومه ويستحثهـم على الصبر، وكان من بين القـادة الـذين كـانوا يجوبـون الميدان ـ يحث قومه ـ جرير بن عبد الله البجلي، الذي أنشد يقول:

تلكمْ بجيلـــــةُ قـــــومي إن سـألـتَ بها
قـــادوا الجِيـــادَ وفضّـــوا جمعَ مهــران
وأدركــــوا الـــوتـــرَ مـن كسرى ومعشرهِ
يـــوم العُـــروبـــةِ وتْـــرَ الحيّ شيبـــان
فســـائِلِ الجمعَ جمعَ الفـــارسيّ وقـــد
حـــاولـت عنـــد ركـــوب الحي قحطـــان
عِـــز الأُلَى كـــانَ عـــزاً من يصـــولُ بهمْ
ورميـــةً كـــان فيهـــا هُلـكُ شيطـــان[٦١]

ويبدو أن كتائب الفرس أحاطت بالمسلمين، وأثقلتهم بالقتال، فأدرك عمرو ابن معد يكرب الزبيدي خطـورة الأمر، ودارت مساجلة بينه وبين المسلمين بينوا له فيها ما أصابهم من إعياء بسبب مكـوثهم الطويل في الميدان، وأوجسوا خيفة

من كثرة الفرس، ولكن عمرا استطاع رفع معنوياتهم وصبرهم، فكان لقوله تأثير في نفوسهم، ونظرا لأهمية هذه المساجلة ولنتيجتها الحاسمة رأينا إيرادها ليشتف القارئ مدى أهمية رفع المعنويات، ومدى الخبرة في استخدام الأساليب المثيرة للأنفس، والمشجعة لها.

خطب عمرو بن معد يكرب المسلمين قائلا: «يا معشر المسلمين! لعله قد هالتكم هذه الكتيبة؟» قالوا: «نعم والله يا أبا ثور لقد هالتنا! وذلك أنك تعلم أنا نقاتل هؤلاء القوم من وقت بزوغ الشمس إلى وقتنا هذا، فقد تعبنا وكلت أيدينا ودوابنا، وكاعت رجالنا، وقد والله خشينا أن نعجز عن هذه الكتيبة، إلاّ أن يأتينا الله بغياث من عنده، أو نرزق عليهم قوة ونصرا»، فقال عمرو: «يا هؤلاء إنكم إنما تقاتلون عن دينكم، وتذبون عن حريمكم، وتدفعون عن حوزة الإسلام، فصفوا خيولكم بعضها إلى بعض، وانزلوا عنها، والزموا الأرض، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، فإنكم بحمد الله صبراء في اللقاء ليوث عند الوغى، وهذا يوم كبعض أيامكم التي سلفت، والله إني لأرجو أن يعز الله بكم دينه، ويكبت بكم عدوه. . . .»(٦٢). ثم ترجل عن فرسه(٦٣)، وترجل معه ألف رجل من السراة، وكسروا أغماد السيوف طالبين الشهادة، وتم النصر بفضل من الله، ثم بفضل إيمانهم وصبرهم، وفي هذا يقول شاعر السراة عبيد بن عمرو البجلي:

سَلْ أهل ذي الكفرِ مهراناً وأسرتهُ

يومَ البجيلة إذ خلّوا عن القاع

وأسلموا ثَمَّ مهراناً ببلقعه

يوم العروبة مطروحًا بجعجاعِ

وفي جلـــولا أثــــرنـــا كــل ذي بـــدع
بكـل صـــــافٍ كلـــــون الملـح لماع
وكـف كـل كـــــــريم الجد ذي حسـب
حـــامي الحقيقـــة لِــلأْوَاء دفَّـــاعِ(٦٤)

وتقدم المسلمون بعد انتصارهم في جلـولاء إلى حلوان، ودخلوا دون صعوبة، وفي هذا ينشد عبد الله بن قيس الأزدي السروي:

فـأبلـغ أبـــا حفـصٍ بـأنَّ خيـــولنَـــا
بحلْـــوانَ أضحـتْ بــــالكماةِ تجمجـم
ونحـن دهمنــاهـــا صبـــاحـــاً بفيلـق
جـــريـــر علينـــا في الكتيبـــة مُعْلـمُ
ونحـن أبـــدنـــا الفـــرس في كلِ مـــوطـن
بجمـــعٍ كمثـــلِ الليـــلِ والليـــلُ مظلـــمُ

جـ ـ دورهم في التنظيمات العسكرية في جبهتي الشام وفارس:

لم يكن أهل تهامـة والسراة فقط يـرحبـون بنـداء الخليفـة أبي بكـر الصـديق للانخـراط في جيش الجهاد الإسلامي الذي ذهب من شبـه الجزيرة العـربية إلى جبهتي الفرس والروم، وإنما أيضا حرصـوا على المشاركة مع إخوانهم المسلمين في بنـاء الدولـة الإسلاميـة، بل تحمل المسئوليـة في القيام بأعمالهم على خير وجـه، فكانوا يحاربون الأعداء راغبين في الشهادة والفوز بالجنة، أو النصر وإعلاء كلمة لا إلـه إلا الله محمـد رسول الله، ولم يشـاركـوا جميعهم في الجيش الإسـلامي قبل وأثنـاء المعـارك مع الفـرس والـروم فقط على هيئـة جنـود محاربين دون أن يكـون لبعضهم أدوار قيادية تنظيمية، وإنما على العكس مـن ذلك ففي الجبهة الشامية

ضد الروم نجد بروز عدد من القادة أمثال قيس بن هبيرة بن مكشوح المرادي، وعامر بن الطفيل الدوسي، وجندب بن عمرو الدوسي وعمرو بن معد يكرب فكانوا جميعهم يقودون بعض الفرق في الجيش الإسلامي قبل وأثناء معركة اليرموك، بل كان بعض منهم أمثال عمرو بن معد يكرب يستحث الجيوش على الإقدام والاستمرار في محاربة الروم والحصول على النصر أو الشهادة في سبيل الله(٦٥).

أما دورهم القيادي والتنظيمي في الجبهة الفارسية فكان أعظم بكثير حيث برز منهم قادة عظام كان لهم أيضا شرف المساهمة في الجهاد على أرض بلاد الشام ضد الرومان أمثال قيس بن هبيرة المرادي، وعمرو بن معد يكرب، ولكن أيضا ظهر قادة آخرون ساهموا في حرب الفرس أمثال أبي ظبيان الأعرج الغامدي الذي كان يحمل راية غامد في معركة القادسية، وعرفجة بن هرثمة البارقي الذي صار مددا للمسلمين في سبعمائة من أهل تهامة والسراة، وجرير بن عبد الله البجلي الذي كان على مقدمة جيش المسلمين مع سعد بن أبي وقاص وابن أخيه هاشم ابن عتبة بن أبي وقاص في معركتي القادسية وجلولاء، وقد أشارت المصادر التاريخية إلى شجاعة جرير وقدرته على محاربة الأعداء، بل استحثاثه المسلمين على الصبر والجهاد لأجل الفوز بمرضاة الله، فكان يقول لهم: «**اصبروا لقتال هؤلاء الفرس التماسا لإحدى الحسنيين. أما الشهادة فثوابها الجنة، وأما النصر والظفر ففيهما الغنى من العيلة، وانظروا لا تقاتلوا رياء ولا سمعة، فحسب الرجل خزيا أن يكون يريد بجهاده حمد المخلوقين دون الخالق، وبعد فإنكم جربتم هؤلاء القوم ومارستموهم، وإنما لهم هذه القسي المنحنية وهذه السهام الطوال فهي أغنى سلاح عندهم**»(٦٦).

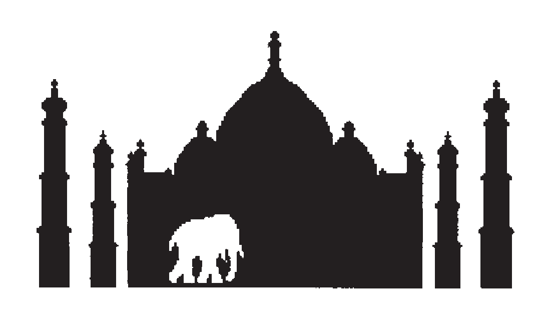
ومثل هذه العبارات لا تصدر من جندي معتاد، وإنما مصدرها رجل جرب

الحياة وعـرفها، بل مارس الحروب وأهـوالها، ثم إن مكانتـه في الجيش الإسلامي ببلاد فارس كـانت تسمح له أن يقوم على رءوس المجاهـدين وينصحهم بما يراه نافعـا لهم، وما تقتضيه ظروف الحرب ضـد الأعداء، ولو استقصينـا المساهمات التي قـام بها جـرير وغيره أمثـال عمـرو بن معـد يكـرب وأبي ظبيان الغـامـدي لوجـدناهم كـانوا في مقـدمة الجيـوش في كل من القادسيـة وجلولاء وغيرهما من المعـارك التي وقعت بين المسلمين والفـرس في عهـد الخليفـة الـراشـد عمـر بن الخطاب(٦٧).

والفرق بين مسـاهمة أهل تهامة والسراة في الجبهتين الـرومية والفارسيـة هو أن القيادات منهم في معركـة اليرموك وما قبلها كانت غالبـا في الأمراء الأوائل الذين أرسلهم أبو بكر الصديـق من المدينـة أمثـال أبي عبيـدة بن الجـراح، ويزيـد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن أبي حسنـة، وعمرو بن العـاص، ثم خالد بن الـوليد الـذي أرسل إليهم مـددا من العـراق، وإن جاءت أسماء قـادة من بـلاد السراة أمثال عـامر بن الطفيل الدوسي، وجنـدب بن عمرو الدوسي، وعمـرو بن معد يكرب، وقيس بن هبيرة المرادي، فلم يكـونوا يتولـون قيادات عامة، وإنما كـانوا قادة على فـرق في الجيش، وربما كانت تلك الفرق من أقـوامهم وعشائرهم، إلى جانب أنـه يذكر عن الخليفة أبي بكـر الصديق أنه رفض أن يستخـدم في القيادة العامة من أسلم متأخرا أو من ارتد وشارك المرتدين في عهده(٦٨)، ومن المعلوم أن عمـرو بن معد يكـرب وقيس بن هبيرة المرادي ارتدا وشـاركا الأسـود العنسي بل ناصراه عنـدما أعلن ارتـداده ونبوءته، ثم سيطـرته على بـلاد اليمن وأغلب بلاد تهامة والسراة(٦٩). وبهذا فالخليفة الصديق لم يكن يستخدم أحدا من أهل تهامة والسراة في القيـادات العـامـة في الجيش، ولكن عنـدما جـاء الخليفـة عمـر بن الخطاب، ثم وجه الجيوش إلى بلاد الفـرس وشاور جرير بن عبد الله البجلي على

أن يذهب إلى بلاد فارس مع قومه وله ثلث ـ وقيل ربع ـ خراج العراق، فذهب جرير وتجمعت الجيوش في معارك البويب والقادسية وجلولاء فكان جرير من القادة العظام الذين شاركوا في تلك المعارك، بل يقال إنه كان القائد العام في أرض المعركة بجلولاء(٧٠).

وخلاصة القول أن أهل تهامة والسراة كانوا من القوى البشرية التي شاركت في جبهات الفتوح الإسلامية المبكرة، فلم يكونوا يتأخرون عن السماع لنداء الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر عندما استنفرا المسلمين لجهاد الفرس والروم، وإنما كانوا فى مقدمة الجيوش في اليرموك، والبويب والقادسية وجلولاء، ساعين من وراء ذلك إلى الفوز والنصر وإعلاء كلمة الحق على أرض الروم وفارس، أو الفوز بالشهادة والخلود في جنات النعيم، وبسواعدهم الفتية مع غيرهم من المسلمين في شبه الجزيرة العربية استطاعوا فتح بلاد الشام وفارس، ثم بلاد مصر والمغرب والأندلس، بل استطاعوا بتوجيهات من خليفة المسلمين في المدينة المنورة أن يمصروا الكوفة والبصرة، والفسطاط والقيروان وغيرها، بل استطاعوا مع غيرهم من المسلمين أن يكونوا حضارة إسلامية عريقة استطاعت أن تضاهي، بل تتفوق على غيرها من الحضارات.



الهوامش والتعليقات

(١) لقد أفاضت كتب السير في الحديث عن الوفود التي قدمت على الرسول ﷺ من أنحاء شبه الجزيرة العربية، وكان منهم بعض الوفود التي قدمت من بلاد تهامة والسراة، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر وفد ثمالة، ووفد بجيلة، ووفد زهران، ووفد باهلة، ووفد دوس، ووفد سلامان، ووفد خثعم، ووفد بارق، ووفد الأزد، ووفد زُبيد، وغير ذلك من الوفود التي قدمت من أجزاء عديدة من بلاد اليمن. وللمزيد من التفصيل انظر. عبد الملك بن هشام: **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (بيروت: دار القلم، د.ت) جـ٤، ص ١٨٢ وما بعدها. محمد بن سعد: **الطبقات الكبرى** (بيروت: دار صادر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، جـ١، ص ٩١ وما بعدها. شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم: **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين. (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، جـ٣، ص ٦٠٠ وما بعدها.

(٢) لم يكن اسم (تهامة والسراة) الذي استخدمناه حديث الاستخدام، وإنما هو قديم الذكر في مصادر التراث الإسلامي المبكرة، حيث أطلق على الجبال والمرتفعات الممتدة من الطائف إلى صنعاء اسم السراة، أو السروات، وأحيانا يطلق عليها (الحجاز) وذلك لأنها تحجز بين البوادي والنجود في الشرق وبين الأغوار والسهول التهامية في الغرب. أما تهامة فعرفت أيضا بأنها المنطقة المنخفضة التي تقع غرب بلاد السراة، وتمتد إلى شواطئ البحر الأحمر. ولمزيد من المعلومات انظر الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني: **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) ص ٢٦٠ ـ ٢٦٨. عبد الله بن عبد العزيز البكري: **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق مصطفى السقا (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) مج١، جـ١، ص ٨ ـ ١٣. شهاب الدين ياقوت الحموي: **معجم البلدان** (بيروت: دار صادر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) جـ٢، ص ٦٣ ـ ٦٤، جـ٣، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥. محمد عبد المنعم الحميري: **كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٥م)، ص ١٤١ ـ ١٤٢، ١٨٨ ـ ١٨٩، ٣١١.

(٣) لما قام به سكان أهل تهامة والسراة من أعمال سياسية قبل الفتوح الإسلامية، وبخاصة في عهد الرسالة، وفي فترة قيام حروب الردة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، فسيكون هناك بحث خاص مستقل عن دورهم ومساهماتهم في تلك الحقبة، وسيتم نشره في إحدى المجلات العلمية ـ إن شاء الله ـ.

(٤) كان رجال من أهل تهامة والسراة يأتون إلى مكة المكرمة للحج، وللتجارة، ولأعمال اقتصادية واجتماعية أخرى، وأكبر دليل على ذلك إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي وضماد الأزدي في فترة الدعوة المكية، وكتب السير والتراجم قد حفظت لنا قصة ارتيادهما مكة المكرمة، ثم مقابلتهما الرسول ﷺ وإسلامهما. انظر، ابن هشام، **السيرة**، جـ٢، ص ٢١ ــ ٢٥. جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي. **صفة الصفوة**، تحقيق محمود فاخوري (حلب: دار الوعي بحلب، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) جـ١، ص ٦٠٠ ــ ٦٠٥. عز الدين أبو الحسن بن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت) جـ٣، ص ٤١ ـ ٤٢.

(٥) وللمزيد من التفصيلات عن الجيوش التي أرسلها الخليفة أبو بكر الصديق إلى بلاد تهامة والسراة في أثناء حروب الردة انظر محمد بن جرير الطبري: **تاريخ الأمم والملوك** (بيروت: دار سويدان، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م) جـ٣، ص ٢٣٠ وما بعدها. أحمد بن عبد ربه: **العقد الفريد** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م) جـ٣، ص ٦٤ ــ ٦٥. ابن الجوزي **صفة الصفوة**، جـ١، ص٧٤٠ـ ٧٤٢.

(٦) لقد أرسل الرسول ﷺ بعض السرايا إلى حدود بلاد الشام، بل ذهب هو على رأس بعض الغزوات التي وصلت إلى تبوك وما حولها. للمزيد من التفصيل انظر ابن هشام: **السيرة**، جـ٤، ص ١٥٩ وما بعدها. ابن القيم: **زاد المعاد**، جـ٣، ص ٥٢٦ وما بعدها.

(٧) أبو عبد الله عمر الواقدي: **فتوح الشام**. (بيروت: دار الجيل، د.ت) جـ١، ص ٥. انظر أيضاً عبدالرحمن الشجاع: اليمن في صدر الإسلام (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨هـ) ص ٢٧ وما بعدها.

(٨) تيماء بلد في طرف شبه الجزيرة العربية من جهة بلاد الشام، وتقع على طريق الحاج المؤدية إلى دمشق، انظر شهاب الدين أبا عبد الله ياقوت: **معجم البلدان**: جـ٢، ص ٦٧.

(٩) الطبري: جـ٣، ص ٣٨٨. محمد عبد الله الأزدي: **تاريخ فتوح الشام**، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر (القاهرة: مطابع سجل العرب، ١٩٦٩م) ص ٢ ـ ٥.

(١٠) أحمد بن يحيى البلاذري: **فتوح البلدان**: تحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص ١٢٨، الواقدي: **فتوح الشام**، جـ١، ص ٥ ـ ٦.

(١١) الأزدي، ص ٨ ـ ٩.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٩. عبد الرحمن الشجاع: **اليمن في صدر الإسلام**، ص ٣٤ وما بعدها.

(١٣) المصدر نفسه.

(١٤) لمزيد من التفصيل انظر البلاذري، ص ١٢٨، الأزدي، ص ٥، ٦ ـ ١٠، الواقدي، جـ١، ص ٧، ٨، ٩. ولمزيد من التوضيح عن مضارب أهم القبائل والعشائر في بلاد تهامة والسراة خلال العهود الإسلامية الأولى، فقد أرفقنا مع البحث خريطة توضح ذلك.

(١٥) لمزيد من المعلومات عن بداية الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام انظر الأزدي، ص١١ وما بعدها. الواقدي، جـ١، ص ٢٤ وما بعدها.

(١٦) الأزدي: ص ٢٥ ـ ٢٦. ويذكر أن ابن ذي السهم الخثعمي قدم على الخليفة أبي بكر الصديق في المدينة، ومعه نحو ألف مجاهد من قومه، فقال للخليفة: «إنا قد تركنا الديار والأموال والأصول، وأقبلنا بنسائنا وأبنائنا، ونحن نريد جهاد المشركين، فماذا ترى لنا في أولادنا ونسائنا أنخلفهم عندك ونمضي فإذا جاء الله بالفتح بعثنا إليهم فأقدمتهم علينا؟، أم ترى لنا أن نخرجهم معنا ونتوكل على ربنا؟». قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ «سبحان الله يا معشر المسلمين، هل سمعتم ممن سار من المسلمين إلى أرض الروم وأرض الشام ذكر عن الأولاد والنساء مثل ذكر أخي خثعم؟ أما إني أقسم لك يا أخا خثعم إني لو سمعت هذا القول منك والناس مجتمعون عندي قبل أن يشخصوا لأحببت أن أحتبس عيالاتهم عندي، وأسرحهم، وليس معهم من النساء والأولاد ما يشغلهم ويهمهم حتى يفتح الله عليهم، ولكنه قد مضى عظم الناس وذراريهم، ولك بجماعة المسلمين أسوة، وأنا أرجو أن يدفع الله بعزته عن حرمة الإسلام وأهله، فسر في حفظ الله وكنفه، فإن بالشام أمراء وجهناهم إليها، فأيهم أحببت أن تصحب فاصحب». فلحق بيزيد بن أبي سفيان وصحبه. انظر الأزدي، ص ٢٥ ـ ٢٦.

(١٧) الأزدي: ٣٢ ـ ٣٥، أبو محمد أحمد بن أعثم: **كتاب الفتوح**، مصور من طبعة حيدر أباد بالهند (بيروت: دار الندوة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) جـ١، ص ١٠٤، ١١٤.

(١٨) الواقدي، جـ١، ص ٣٧.

(١٩) المصدر نفسه، وللمزيد من التفصيلات عن شخصية عمرو بن معد يكرب، وشجاعته في الحروب، انظر ابن هشام، جـ١، ص ٤١، جـ٤، ص ٢٣٠ ـ ٢٣٢. علي بن الحسين المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر** (بيروت: دار الأندلس، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) جـ٣، ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦، البلاذري، ص ١٢٦ ـ ١٢٧، ٢٧٨.

(٢٠) انظر: الواقدي، جـ١، ص ١١٠، ١١٢.

(٢١) الأزدي: ص ١٥٩، ١٨٥ ـ ١٨٦.

(٢٢) المصدر نفسه: ص ١٩٠ ـ ١٩١، ٢٢٣ ـ ٢٢٤. الواقدي: جـ١، ص ١١٨. الطبري: جـ١، ص ١١٨. الطبري: جـ٣، ص ٣٩٧، ٤٠٢. ومن بطولات بعض رجال السراة في معركة اليرموك ما ذكر الأزدي حيث يقول: «**وثبتت بعض قبائل الأزد السروية، فقاتلت قتالا شديدا لم يقاتل مثله أحد من تلك القبائل، وقتل منهم مقتلة لم يقتل مثلها قبيلة من القبائل الأخر. وأقبل يومئذ عمرو بن الطفيل بن ذي النور، وهو يقول: يا معشر الأزد، لا يؤتين المسلمون من قبلكم، وأخذ يضرب بسيفه متقدما عليهم وهو يقول:**

قد علمت أوسٌ ويشكرُ تعلمُ
أني إذا الأبيضُ يوما مظلمُ
وعرّدَ النكسُ وفر الأيهمُ
أني عُفْر في الوقاع ضيغمُ

وقال جندب بن عمرو بن حممة، ورفع رايته:

يـا معشر الأزد، إنه لا يبقى منكم ولا ينجـو من الإثم والعار إلا من قـاتل ألا و إن المقتول شهيـد، والخائب من هرب اليوم، ثم قال:

يـا معشرَ الأزدِ احتـذاذَ الأفيـالِ هيهات هيهات ووقوفٌ للحال

لا يمنـــــع الـــــرَّايـــــة إلا الأبطـــــال».

لمزيد من التفصيلات انظر الأزدي، ص ٢٢٣ ــ ٢٢٤. نزار عبد اللطيف الحديثي. **أهل اليمن في صدر الإسلام: دورهم واستقرارهم** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر د. ت).

(٢٣) ابن أعثم: جـ١، ص ٢٥٤ـ٢٥٥.

(٢٤) المصدر نفسه: جـ١، ص ٢٥٥، ٢٥٨.

(٢٥) المصدر نفسه: جـ١، ص ٢٥٩.

(٢٦) عمرو بـن معد يكـرب الزُّبيدي مـن الشخصيات المهمـة التي ساهمت في الفتـوحات الإسـلامية في الجبهـة الفارسيـة مع سعد بن أبي وقـاص، وبخاصـة في معـركتي القادسيـة وجلولاء. ولمزيـد من التفصيل انظر الحديث عن الجبهة الفارسية خلال بعض الصفحات التالية لما ورد في المتن عند هذه الملحوظة.

(٢٧) انظر ابن أعثم، جـ١، ص ٢٥٩.

(٢٨) الأزدي: ص ٢١٨.

(٢٩) للمزيد من المعلومـات عن الحروب الأولى التي وقعت بين المسلمين والفرس انظر الطبري، **تاريخ**، جـ٣، ص ٤٤٤ وما بعدها. المسعودي، **مروج الذهب**، جـ٢ ص ٣٠٧ وما بعدها.

(٣٠) ابن أعثم: جـ١، ص ١٧١.

(٣١) لم نستطع العثـور على الأسباب التي جعلت بعض عشـائر وقبائل بجيلـة موزعـة بين عشائر وقبـائل أخرى، ويتضح تفرقهم من حرص جريـر بن عبد الله البجلي على جمعهم تحت زعامة واحدة، ومن المحتمل أنهم تفرقوا لمهـارتهم في فنون القتال، ولمكانتهم بين القبائل مما جعل لهم ارتبـاطا واختلاطا مع العـديد من القبـائل، أو أنه حـدث بينهم حـروب ونزاعـات في الجاهلية سببت اختـلافهم ثم تفرقهم واندماجهم في قبائل أخرى.

(٣٢) الطبري: جــ٣، ص ٣٦٥، عبـد الـرحمن بن خلــدون: تـاريخ ابن خلـدون: ج٢، ص ٥٢٣. (بيروت: دار الفكر ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

(٣٣) الطبري: جـ٣، ص ٣٦٥، ٣٦٩ البلاذري: ص ٢٤٧. ابن خلدون: جـ٢، ص ٥٢٣.

(٣٤) انظر: الطبري، جـ٣، ص ٤٦٠، ٤٧١. البلاذري: ص ٢٤٧. ابن خلدون: جـ٢، ص٥٢٣.

(٣٥) انظـر: الطبري، جــ٣، ص ٥٨١. نـزار الحديثي: **أهل اليمن في صـدر الإسـلام**، ص ٧٤ ومـا بعدها.

(٣٦) انظر: المسعودي، جـ٢، ص ٣١٠ـ٣١١.

(٣٧) البلاذري : ص ٢٥٤ .

(٣٨) الطبري : جـ٣، ص ٤٦٠ ، ٤٦٢ .

(٣٩) هو عرفجة بن هرثمة من بني عدي بن حارثة بن عمر بن عامر، وعداده في بارق من الأزد . للمزيد من التفصيل انظر: أحمد محمد بن عبد ربه : **العقد الفريد**، تحقيق مفيد محمد قميحة وآخرين (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، جـ٣، ص ٣٣٤، الطبري، جـ٣، ص٤٦٢ ـ ٤٦٣ .

(٤٠) المصدر نفسه : جـ٣، ٤٦٢ ـ ٤٦٣ . ويورد ابن الأثير القصة التي وقعت بين عرفجة البارقي وبجيلة، ولكنه يشير إلى أن جرير بن عبد الله البجلي هو الذي أيّد قومه في تقديم شكواهم إلى الخليفة عمر بشأن عرفجة، بل يورد أن الخليفة عمر بعد سماعه لقصة عرفجة قال له : «**اثبت على منزلتك، فدافعهم كما يدافعونك**». فقال : «**لست فاعلا ولا سائرًا معهم**» ثم خرج إلى البصرة، وهذه الرواية قد لا تكون صحيحة، لأن البصرة لم تختط بعد، ولم تكن معركة القادسية قد وقعت بعد. ابن الأثير، جـ١، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠، انظر أيضا الطبري، جـ٣، ٤٧١ ـ ٤٧٢ .

(٤١) الطبري : جـ٣، ص ٤٦٣ .

(٤٢) المصدر نفسه .

(٤٣) للمزيد من التفصيلات عن معركة البويب، انظر. الطبري جـ٣، ص ٤٦٠ وما بعدها . المسعودي : جـ٢، ص ٣١٠ وما بعدها . ويذكر أن الذي قتل مهران هو جرير بن عبد الله، واقتسم سلبه مع المنذر بن حسان بن المنذر بن ضرار الضبي الذي شاركه في قتله، والذي قال في ذلك بعض الشعر حيث يقول :

ألم ترني خالستُ مهران نفسَهُ
بأسمر فيه كالخلالِ طريرُ
فخر صريعاً والتقاني برجله
وبادر في رأس الهمام جريرُ
فقال : قتيلي، والحوادثُ جمّةٌ
وكاد جريرٌ للسرور يطيرُ
فقال أبو عمرو: وقتلي قتلتهُ
ومثلي قليلٌ والرجال كثيرُ
فأرسلْ يميناً إنَّ رمحكَ نالهُ
وأكرَمُ أن تحلف وأنت أميرُ

انظر: البلاذري، ص ٢٥٤ . الطبري، جـ٣، ص ٤٦٦، ابن أعثم، جـ١، ص ١٧١ . المسعودي، جـ٢، ص ٣١١ .

(٤٤) الطبري، جـ٣، ص ٤٧٢ . المسعودي، جـ٢، ص ٣١١ ـ ٣١٢ .

(٤٥) الطبري، جـ٣، ص ٤٦٩ .

(٤٦) انظر: الطبري، جـ٣، ص ٤٨٠ ، ٤٨٣ ، ٤٨٦ . البلاذري، ص ٢٥٦ ، ويذكر ابن حجر العسقلاني أن أبا ظبيان الأعرج الغامدي كان الحامل لراية غامد في معركة القادسية، وهو القائل :

أنا أبو ظبيان غير المكذبه أبي أبو العنقا وخالي اللهبه

أكرم من يعلم بين ثعلبه

انظر: شهاب الدين أحمد بن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة** (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت،) جـ٤، ص ١٨٨ ، ترجمة رقم (٥٢٢٨) . حمد الجاسر، **في سراة غامد وزهران: نصوص، مشاهدات، انطباعات** (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) ص ٢٨٢ .

(٤٧) الطبري، جـ٣، ص ٤٨٤ .

(٤٨) المصدر نفسه .

(٤٩) المصدر نفسه: جـ٣، ص ٤٨٦ .

(٥٠) المصدر نفسه: جـ٣، ص ٤٨٤ ، ٤٨٦ .

(٥١) المصدر نفسه .

(٥٢) المصدر نفسه: جـ٣، ص ٤٨٥ ، ٥٧٦ ، البلاذري: ص ٢٧٦ ، ٢٦٨ .

(٥٣) ابن أعثم: جـ١ ، ص ٢٠١ .

(٥٤) الطبري: جـ٣، ص ٤٨٧ .

(٥٥) المصدر نفسه: جـ٣، ص ٥٤٣ .

(٥٦) البلاذري، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ ، ٢٦١ .

(٥٧) للمزيد من التفصيل عن معركة القادسية وأيامها المشهورة، انظر: الطبري، جـ٣، ص ٤٨٠ ـ ٥٧٩ .

(٥٨) الطبري: جـ٣، ص ٥٧٦ ، المسعودي: جـ٢ ، ص ٣١٣ .

(٥٩) الطبري: جـ٣، ص ٥٧٧ . وفي رواية أخرى تذكر أن الفرس اجتمعت على قبائل بجيلة، فجاءهم المدد من بعض العشائر الأزدية اليمانية بقيادة القعقاع بن عمرو، فأعانوهم، وأجبروا الفرس على التقهقر، فقال سعد بن أبي وقاص مشيرًا إلى مساعدة القعقاع وإنقاذ بجيلة مما كاد أن يحل بهم :

هُمُ منعوا جموعكم بطعن وضرب مثل تشقيق الإهاب

ولولا ذاك ألفيتم رعاعا تشلُّ جموعكم مثل الذباب

انظر: الطبري، جـ٣، ص ٥٨٠ .

(٦٠) ابن أعثم: جـ١ ، ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ .

(٦١) المصدر نفسه: جـ١ ، ص ٢٧٤ . ويذكر عن جرير أنه كان ينادي في قومه بجيلة، ويقول: «**الزموا الصبر وصابروا، فو الله إنكم الأنجاد الأمجاد، الحسان الوجوه في اقتحام الشدائد! فاصبروا يا معشر**

بجيلة! فوالله إني لأرجو أن يرى المسلمون منكم اليوم ما تقرُّ به عيونهم، وما ذاك على الله بعزيز».

انظر ابن أعثم، جـ١، ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

(٦٢) المصدر نفسه: جـ١، ص٢٧٦، وكان لعمرو بن معد يكرب مواقف بطولية أخرى في معركة القادسية يشجع فيها الجيوش الإسلامية على محاربة أعدائهم. انظر: الطبري، جـ٣، ص٥٧٦. البلاذري: ص٢٥٧. المسعودي: جـ٢، ص٣٢٤ وما بعدها.

(٦٣) وعند نزول عمرو عن فرسه، كان يقول:

لقد علمتْ أقيال مذحجَ أنَّني ... أنا الفارسُ الحامِي إذا القومُ أضجروا

صبرتُ لأهلِ القادسية معلماً ... ومثلي إذا لم تصبر الناسُ يصبرُ

وطاعنتهم بالرمح حتى تبدَّدُوا ... وضاربتهمْ بالسيف حتى تكسرُوا

بذلك أوصاني أبي وأبو أبي ... بذلك أوصاني فلست أقصِّرُ

حمدتُ إلهي إذ هداني لدينه ... فلله أسعى ما حييتُ وأشكرُ

انظر: ابن أعثم، جـ١، ص٢٧٧.

(٦٤) المصدر نفسه: جـ١، ص ٢٧٨.

(٦٥) انظر تفصيلات أكثر، الطبري، جـ٣، ص ٣٩٧، ٤٠٢. الأزدي: ص ١٠٤. وما بعدها. ابن أعثم: جـ١، ص ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٦٢.

(٦٦) المصدر نفسه: جـ١، ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤، وللمزيد عن جهود جرير بن عبد الله البجلي، انظر، البلاذري، ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤. ابن أعثم: جـ١، ص ١٧١ ـ ١٧٢.

(٦٧) ولمزيد من التفصيلات عن الحروب التي وقعت بين المسلمين والفرس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، انظر الأزدي ص ١١ وما بعدها. الواقدي جـ١، ص ١٥. وما بعدها. الواقدي: جـ١، ص ١٥ وما بعدها. الطبري: جـ٣، ص ٣٤٣ وما بعدها. المسعودي: جـ٢، ص ٣٠٧ وما بعدها.

(٦٨) انظر الطبري: جـ٣، ص٢٢٧ ـ ٢٤٠.

(٦٩) ولمزيد من المعلومات عن حركة الارتداد في عهد الخليفة أبي بكر ودور أهل تهامة والسراة، وبلاد اليمن في ذلك، انظر الطبري، جـ٣، ص ٢٢٧ ـ ٢٤٠، ٣١٨ ـ ٣٢٨.

(٧٠) المصدر نفسه: جـ٣، ص ٥٧٦ وما بعدها.